كتاب أنساب الأشراف

للبلاذرى

للدكتور اسرائيل ولفنسون

أستاذ اللغات السامية بدار العلوم

يعلم كل من تتبع حركة النشر والطبع فى الأقطار الشرقية فى العصر الحديث أن كثيرا من المصنفات العربية العظيمة الشأن إنما نشرت بوساطة العلماء المستشرقين ؛ ومما لا شك فيه أن هذه العناية الفرطة إنما كانت من الأسباب الباشرة التى ساعدت على نمو النهضة العلمية فى الديار العربية

كلنا نعلم أن كتاب السيرة النبوية لمحمد بن اسحق من رواية عبد الملك بن هشام طبع للمرة الأولى سنة ١٨٥٩ — ١٨٦٠ بوساطة العالم ويستنفلد ، وكذلك تولى العلامة دى غويه بمعونة علماء آخرين طبع كتاب تاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى فى ليدن من سنة ١٨٧٦ ، وكذلك طبع نخبة من المستشرقين كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد من سنة ١٩٠٥ — ١٩٢١

وكذلك طبع كتاب (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) لمصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجى خليفة من سنة ١٨٣٥ — ١٨٥٨ بمدينتى ليدن وليبسيك ، وكان ذلك تحت إشراف العالم فليجل ، وهو الذى تولى طبع كتاب فهرس ابن النديم من سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١

وليس هذا المقام مقام احصاء كل ما طبع العلماء المستشرقون ، وإنما سردت بعض الكتب القيمة العظيمة القدر التى لا نتصور حركاتنا العلمية ونهضتنا الأدبية دون الرجوع الى هذه المصادر الهامة

وهناك أمر آخر له خطره فى أمر نشر المصنفات العربية بوساطة المستشرقين وهو أنهم أساتذة لنا ، معشر الشرقيين ، فى إخراج المطبوعات على الطريقة العلمية الجدية ، إذ هم ليسوا طابعين وناشرين فحسب كما اعتدنا أن نرى من الناشرين للمؤلفات عندنا ، بل هم يعلون الى المراجعة بعناية ، والقابلة بما ورد فى الكتاب الذى أمامهم بالمصادر والمراجع الأخرى ، ويذيلون مطبوعاتهم بحواش هى غاية فى الدقة والخطورة فى أغلب الأحوال

وقد لاحظنا أن بعض الناشرين عندنا عمدوا إلى إعادة طبع ما طبعه المستشرقون فى أوربا ، ولكن مع الأسف الشديد جاء عملهم ماسخاً لما عمله المستشرقون مشوهاً له ؛ إذ كانت الطبعة الثانية غير مضبوطة ، كثيرة الأغلاط ، فاحشة الأخطاء

على أن بعض الأفراد ممن تثقف فى أوربا ، وممن اتصل بالحركة العلمية الأوربية قد بدأ ينشر بعض المصنفات العربية على الطريقة المألوفة عند الافرنج ، وخصوصاً ما ظهر من الهمة والعزيمة فى نشر الكتب تحت إشراف دار الكتب المصرية ، فلا شك أن عمل دار الكتب يعد صفحة بيضاء جديدة فى تاريخ نشر الكتب والعرفان فى الشرق . على أننا نريد أن نقول لدار الكتب كلمة صريحة نؤجلها إلى فرصة أخرى إن شاء الله

ذكرت ذلك بمناسبة تولى المعهد الشرقى بالجامعة العبرية بالقدس نشر كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى الذى ظهر منه فى الآونة الأخيرة الجزء الخامس

ذاع صيت احمد بن يحيى بن جابر البلاذرى فى العصور الأخيرة بوساطة كتابه الصغير فتوح البلدان الذى أقدم العالم دى غويه على طبعه سنة ١٨٦٦ بمدينة ليدن . أما مصنفه العظيم المذكور فى معجم ياقوت الحموى باسم أنساب الأشراف (معجم الأدباء ج ٢ — ص ١٣١) أو كما سماه ابن النديم بكتاب الأخبار والأنساب (فهرس ص ١١٤) أو كما يقول الشريف المرتضى (الشافى ص ٢٦٠ ، ٦٨٨) كتاب البلاذرى ، أو كما يشير ابن عساكر إلى البلاذرى ويصفه بصاحب التاريخ (تاريخ دمشق ص ١٣١)

وهو الكتاب الذى ارتشف من منهله المتقدمون والمتأخرون ممن جاءوا بعد البلاذرى من كبار الأدباء والمؤرخين والجغرافيين مثل الشريف المرتضى الذى توفى سنة ٤٣٦ ، وابن عساكر الذى توفى سنة ٥٧١ ، وياقوت الحموى الرومى الذى توفى سنة ٦٢٦ ، والنويرى الذى توفى سنة ٦٣٣ ، وابن خلكان الذى توفى سنة ٦٨١ ، وابن حجر العسقلانى الذى توفى سنة ٨٥٢ ، وابن تغرى بردى الذى توفى سنة ٨٧٤ . أما هذا الكتاب فقد توارى عن العيون فى العصور الأخيرة ومر عليه العلماء مر الكرام حتى أصبح

نسياً منسياً إلى أن جاء العالم أهلوارت فى سنة ١٨٨٣ وأخرج جزءاً منه كان يشك بعض العلماء فى صحة نسبه إلى البلاذرى . ثم حدث أن أعلن الأستاذ بيكر (C. H. Becker) فى مؤتمر المستشرقين الثالث عشر أنه عثر على نسخة كاملة من كتاب أنساب الأشراف فى الآستانة ولم يحفظ الدهر لهذا الكتاب نسخة كاملة غيرها ؛ وكان قد عقد النية على نشر الكتاب ولكن كبر حجمه من ناحية ومشاغل الأستاذ بيكر من ناحية أخرى عاقته عن المضى فى تحقيق هذا المشروع إلى أن اقترح عليه الأستاذ جولدتهلد ويل الذى كان مديراً للقسم الشرقى من مكتبة برلين الكبرى على العلامة بيكر أن يعرض مشروع طبع أنساب الأشراف على هيئة تدريس اللغة العربية فى الجامعة العبرية بالقدس ففعل

* * *

أما المخطوط من هذا الكتاب فيشتمل على ١٢٢٨ صفحة ، وهو أكبر حجما من الطبقات الكبرى لابن سعد أو أقل قليلاً من كتاب التاريخ لابن جرير الطبرى ؛ وهو بحث مفصل فى أنساب العرب يبدأ دراسته بالتاريخ القديم من عهد نوح وذريته إلى سيدنا ابراهيم خليل الله وأعياصه ، ثم ينتقل إلى قريش وبنى هاشم ويبحث فى أصلهم وفصلهم ، ثم يقص سيرة الرسول وأخبار على بن أبى طالب وما جرى فى عهد الخلفاء الراشدين ، ويفصل تفصيلاً كثيراً مطولاً تاريخ بنى أمية حتى تشتمل أخبارهم على ثلث الكتاب بأجمعه . ومع أنه كان من الموالين لبنى العباس وكان يشغل منصباً رفيعاً عند خلفائهم فان ما ورد بشأنهم من الحوادث والأخبار لا يتجاوز سبعين صفحة من المخطوط الكبير

وكذلك يوجه عناية شديدة إلى قبائل مضر الآخرين فيتعرض لأنساب كنانة وأسد وهذيل وعبد مناة ومزينة وتميم وقيس وذبيان وفزارة وعبس وهوازن وسليم وثقيف

ولم يذكر قبائل ربيعة واليمن لأن المنية عاجلته عن اتمام كتابه إذ لقى حتفه فى أوائل عهد الخليفة المعتضد سنة ٢٧٩ (كشف الظنون ج ١ ص ٢٧٤)

ومع أن هناك مصنفات فى أنساب العرب قبل البلاذرى إذ كان محمد بن هشام الكلبى الذى توفى سنة ٢٠٤ قد وضع كتابه جمهرة الانساب والهيثم بن عدى ألّف مصنفاً فى تاريخ الأشراف وهو ممن توفى فى أوائل القرن الثالث فان كتاب انساب الأشراف للبلاذرى يعد فى الذروة مما وصل إليه الأدب التاريخى عند العرب فى الأنساب

والبلاذرى لم يكتف بجمع الأخبار من مصنفات من سبقه بل جمع كثيراً من الأخبار من السجلات الرسمية التى كانت فى خزائن الدولة ؛ وهو على ميله إلى العباسيين لا يظلم بنى أمية بل يقص عنهم أخباراً كثيرة تدل على أن له حنكة المؤرخ الذى يتغلب على شعوره ويتجرد عن أهوائه ، وذلك أمر لابد للمؤرخ المنصف منه

* * *

والكتاب الذى طبع الآن ليس الجزء الأول بل الخامس منه ، إذ وزعت صفحات المخطوط على جملة من العلماء لم يتمكنوا إلى الآن من اتمام العمل الذى كلفوا أن يقوموا به

وكان الجزء الخامس قد وكل أمر العناية به إلى الأستاذ س . د . جوبتاين وهو الآن فى العقد الرابع من العمر تخرج من جامعة فرنكفورت بألمانيا وكان من خيرة تلاميذ الأستاذ المرحوم يوسف هورفيتس واختاره للتدريس بالجامعة العبرية بالقدس

وقد بذل الأستاذ جوبتاين جهده مدة سنين كثيرة فى مراجعة صفحات المخطوط وأخرجه بعد عناء ومشقة على النسق المألوف عند كبار المؤلفين من المستشرقين مع مقدمة علمية بحث فيها الناشر فى أصل تسمية الكتاب وما يحتوى عليه مع مقارنة بين من سبقه وبين من أتى بعده من المؤرخين وبيّن ما أخذه ممن كان قبله ومن أخذ عنه ممن جاء بعده

ومما يؤسف له أن هذه المقدمة النفيسة قد وضعت بالعبرية من ناحية ، وبالترجمة الانجليزية من ناحية أخرى ، وقد اكتفى الناشر بكلمة موجزة بالعربية . كان من الواجب أن يصدر بالمقدمة العربية قبل كل شىء ، لأن الكتاب عربى موجه إلى الناطقين بالضاد قبل غيرهم ، وإذا كان جمهرة من العلماء الافرنج يدرسون كتاب أنساب الأشراف فهم يستطيعون أن يدرسوا المقدمة بالعربية أيضا

وكذلك أقول عن الذيل الذى وضع بالانجليزية كأن